**الـجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

**وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي**

\*\*\*\*\*\*\*\*\*

**مديرية البحث العلمي والتّطوير التّكنولوجي**

**مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربية**

**\*\*\*\*\*\*\*\*\***

***وحدة البحث : واقع اللّسانيات وتطور الدراسات اللغوية في البلدان العربية – تلمسان-***

**عـــنــــــوان المشـــــروع :**

**نظرة الأدب المقارن إلى التّرجمة والمترجمين**

**أ.د زبير دراقي**

1. **ما الأدب المقارن؟**

 **الأدب المقارن علم إنساني حديث يهدف إلى مقارنة الآداب الوطنية ذات الصلات التاريخية ــــــ صلات التأثير والتأثر ـــــ لتقريب بعضها ببعض، ولإظهار ما لديها من تشابهات في الشكل والمضمون، و إن اختلفت لغاتها وأقوامها، وهو بذلك ينحو بها نحو العالمية، لتكون في متناول القراء على اختلاف جنسياتهم وألسنتهم.**

 **وهو العلم الوحيد الذّي لا يفرّق ولا يفاضل بين الأدباء والآداب، وإنّما هو الجسر الذّي يصل بينهم في عملية الإبداع الأدبي بمختلف أنماطه وأشكاله.**

 **لقد عرف الأدب المقارن أثناء تطوّره، منذ نشأته الأولى في بداية القرن التّاسع عشر، نشأة محدودة ذات اتّجاه لغوي وجغرافي محصور في القارة الأوروبيّة، توسّعا كبيرا في رقعته الجغرافية ليشمل سائر الآداب القومية، وفي موضوعاته التّي شملت كثيرا من جوانب البحث والدّراسة كالموضوعاتية وصورة الأجنبي وما شابههما.وهي موضوعات جديدة أضيفت إلى الموضوعات الكلاسيكية التّي كانت تعنى فقط بالظواهر الأدبية، تماشيا مع بداياته الأولى.**

 **وهكذا صار الأدب المقارن، على مرّ السّنين، القاسم المشترك بين مختلف الآداب العالمية، يجمعها فيما تشابه، ويميّزها فيما اختلف، وهو بذلك يشكّل أفضل همزة وصل بينها يساعد هذا الأدب على النّهوض على قدميه بكلّ ثقة، ويُري ذاك ماعند الآخر من ألوان الإبداع الفنّي، لتتوطّد الصلات بين جميع الآداب، وتزداد أواصر التّعاون والأخذ والعطاء في كنف المحبّة والاحترام المتبادل لما فيه خير الآداب نفسها وخير الإنسانية جمعاء.**

1. **ما التّرجمة:**

 **التّرجمة ممارسة قديمة يعود بها بعض الباحثين إلى أسطورة بابل، التّي تمخّض عنها اختلاف اللّغات وتنوعّها، وظهرت معها الحاجة الماسة إلى التّرجمة، لتحقيق التّواصل بين بني البشر في أمور دنياهم. وظلّت التّرجمة لقرون عديدة فنّا فرديا يُلجأ إليه لنقل النّصوص القانونية والأدبيّة، وكذلك لنقل المعاهدات والكتب السماوية وغيرها كثير. ثمّ تطوّرت التّرجمة في القرن العشرين بفضل اللّسانيــــــــــــــــات أوّلا، فصارت علما قائما بذاته، له مصطلحاته الخاصّة به، وله رجالاته ونظرياته. وهو في الحقيقة علم مازال يشهد تطوّرات كثيرة، حتّى صارت التّرجمة عند بعضهم لغة بحدّ ذاتها أو لغة اللّغات.**

 **ولعلّ الذّي يميّز التّرجمة هو أنّها تتيح نقل ما يراد نقله، وهو كثير ومتنوّع من اللّغة الأصل- أيّا كانت- إلى اللّغة الهدف. وهي بذلك تقوم بدور الوسيط الذّي لابدّ منه بين سائر اللّغات، لتزايد الحاجة إليها في الحرب والسلم، ولأنّ الآدمي، مهما تضلّع من بعض اللّغات، فإنّه لا يمكنه التّمكّن منها جميعا، وهي تعدّ بالآلاف حاليا.**

1. **ما العلاقة بين الأدب المقارن والتّرجمة؟**

 **إنّ الأدب المقارن مبني في الأصل على مقارنة الآداب الوطنية، وهذه الآداب هي التّي نقلتها أو تنقلها التّرجمة من لغة إلى أخرى، بصفتها الوسيط الذّي لا مفرّ منه لإيصال إبداعات المبدعين إلى الآخرين في مشارق الأرض ومغاربها. فهذه الآداب المنقولة بواسطة التّرجمة هي مادّة الأدب المقارن، إذ لولاها لما وُجد أصلا، فهي التّي تزوّده بالمادّة الأوّليّة، وهي التّي تُسنّي للمقارنين إجراء المقارنات على أسس متينة مبنية على المعرفة الجيّدة لشتّى أنواع الإبداع الأدبي.**

 **وإذا كان الأدب المقارن في جوهره ونتائجه هو أدب الآداب على اختلافها واختلاف أصحابها، فإنّ التّرجمة هي اللّغة التّي تشكّل هذا "الأدب العام" كما سميّ أو " الأدب العالمي " الذّي يصبو إليه الأدب المقارن في مرحلة لاحقة من تاريخه.فالعلاقة تبدو جليّة وثيقة بين الوسيطين: الأدب المقارن والتّرجمة.**

1. **متى وكيف اهتمّ الأدب المقارن بالتّرجمة:**

 **لقد اهتمّ الأدب المقارن بالتّرجمة بصفة مبكّرة )منذ نهاية القرن التّاسع عشر (،ونظر إليها نظرة تكامليّة، وقد عدّها من الوسائل الماديّة التّي أدّت دورا محمودا في انتشار التّبادل الثّقافي بين شعوب المعمورة.**

**ولئن استحال على المرء الواحد اتقان عدّة لغات، فلا غنية له عن الاستعانة بالتّرجمة للاطّلاع على روائع الأدب العالمي. وهذا ما يحدث غالبا للقرّاء والمثقّفين الذّين يلفون في التّرجمات ما يروي ظمأهم، ويشبع رغبتهم في اكتساب المزيد من المعارف والوقوف على ماجدّ عند غيرهم من إبداع.ولهذا نوّهت السيّدة دي ستال (DE SATEL) في مقالة ثمينة نشرتها بالمكتبة الإيطالية عام 1816، تحت عنوان: كيفية الترجمة وفائدة المترجمين، بقيمة الترجمة العظمى وفوائدها في عملية التبادل الثقافي، وفي إيصال المعرفة وآداب الأمم الأخرى إلى أوطان القراء بشكل ميسّر ومن غير مشقّة ولا عناء.**

 **و كما هو معروف ، فالترجمة نوعان: ترجمة مباشرة يعتمد فيها على الأصل ولا تحلّ محلّه إلاّ في حالات نادرة كترجمة إدغار آلان بو ) (E .D.A.POE من قبل بودلير (CH.BAUDELAIRE ) و مالاّرمه ) (ST. MALLARMEالذين جعلا من الكاتب الأمريكي الرديء رجلا ذا عبقرية فذّة، وترجمة غير مباشرة يُعتمد فيها على ترجمة أولى كترجمة إدغار كينه لخواطر في فلسفة التاريخ الإنساني عن الإنجليزية وكاتبها يوهان غوتغريد هردر ألـماني النسل واللسان.**

 **و قلّما يحترم في الترجمات ميثاق إتيان دوله) Dolet. (Et الذّي وضعه سنة 1540 في كتابه : كيفية الترجمة الجيّدة من لغة إلى أخرى  !فقط يصيبها من التكييف ما ينأى بها عن الأصل، مثلما هو الأمر في ترجمة ألف ليلة وليلة ) 17-1704( لأنطوان غالاّن**

**) (A .Galland وترجمة ليالي ) 1770 ( إدوار يونغ (ED. Yong) للوتورنور ) le Tourneur (. وأغلب الترجمات الرائعة صارت بدورها، وعلى الرغم من كونها غير وفية للنصوص الأصلية، مصدرا للمترجمين الأوروبيين في شتّى لغاتهم.**

 **ومن هنا يبرز تدخّل الأدب المقارن لجرد الترجمات المتداولة والمغمورة، وإخضاعها لمحكّ التّمحيص المدقّق وفهرستها فهرسة منظّمة تعين الباحث على تتبّع حظّ كتاب في وقت من الأوقات، أو تساعده على معاينة تطوّر الذّوق وتكيّفه مع حساسيّة الأجنبي.**

 **والحقّ أن كتابي: غوته في فرنسا ) 1904( لبالدنسبرجر وأوسّيان في فرنسا ) 1917( لبول فان تييغم لا يخلوان من فصول حول دراسة الترجمات.**

 **ولكنّ المؤلّفات الأحادية الخاصّة بها ظهرت فيما بعد على منوال عطيّل في فرنسا ) 1925( لمارغريت جيلمان، وترجمات بوبه الفرنسية ) 1931( لإميل أودرا وترجمة المسرح المأساوي الفرنسي إلى الإيطالية أثناء القرنين السّابع والثّامن عشر لفيراري.**

1. **متى وكيف اهتمّ الأدب المقارن بالمترجمين:**

 **ليست الوسائل المادّية ) مثل التّرجمة( هي التّي تقوم وحدها بدور الوساطة بين الآداب، وإنّما هناك وسائل بشريّة مثل المترجمين الذّين ساهموا مساهمة فعّالة في نشر الآداب الأجنبيّة وتدعيم نزعة عالميّة الأدب.**

 **لقد تكلّمنا من قبل عن التّرجمة وأهميّتها في عمليّة التّبادل الأدبي الذّي لا يحصل بدونه تأثير ولا تأثّر. وعلينا أن نذكر ما للمترجمين من دور حميد في نقل الرّوائع الأدبيّة إلى مختلف لغات العالم. والمترجمون صنفان:**

**صنف لا نعرف عنه سوى ما تركه من ترجمات، وصنف مشهور لابدّ من الوقوف عنده. ومن الصّنف الأخير لمع اسم لوتورنور. ) ت 1788( الذّي جنّس في فرنسا كلاّ من يونغ، وأوسيّان وشكسبير. وكذلك كان شأن جان-بابتيست سوارد ) ت 1817( مترجم أسفار جيمس كوك البحّار الشّهير وتاريخ شارل الخامس لروبرتسون. وإليه يرجع فضل إشهار ، عن طريق المقالات المنشورة ما بين ) 56-1754( في الجريدة الأجنبيّة والدورية الأدبيّة ، توماس غراي وأوسيّان.**

**ولا غرابة إن حظي سوارد بدراسة خاصة قام بها سنة 1925 ألفريد هونتر، وأشاد فيها بسعيه الحثيث إلى تمكين الأدب الإنجليزي من النّفوذ إلى ديار فرنسا، بل الغرابة أن يظلّ هؤلاء المترجمون مجهولين وبعيدين عن أيّ بحث جادّ يسبر غور نفسياتهم ويكشف السّبل التّي سلكوها في نقل الآثار العالميّة إلى لغاتهم. ولن تجد الأسئلة المطروحة حول ترجماتهم- كالوفاء للنّص أو انعدامه، ولماذا؟- أجوبة مناسبة لها إلاّ إذا أُنجزت لاحقا دراسات نفسيّة وتاريخيّة تشترك فيها كثير من العلوم الإنسانيّة، ومن ضمنها الأدب المقارن طبعا.**

 **والذّي يتبدّى من هذا كلّه أنّ الأدب المقارن، على الرّغم من حداثته، بادر إلى الاهتمام بالتّرجمة والمترجمين، وأدخل تلك وهؤلاء في أبحاثه وموضوعاته تحت محور الوسائل الماديّة والبشريّة. وكان له فضل السّبق في التّعريف بالوسائط والعملاء الذّين نقلوا النّصوص الأدبيّة من لغات غيرهم إلى لغاتهم. وكان الأجدر بنا أن ننوّه في هذا البحث بمجهوداتهم الجبّارة والبذور التّي زرعوها في إطار التّواصل الأدبي بين شعوب العالم.**